المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوَّلة

الرجال بالاعمال

حكمة مأثورة يؤيدها العقل ويعضدها الانصاف وتسلمها البداهة

اما في الماضي فهذه صفحات التاريخ عند ابناء العصر الماضية والقرون الخالية اعدل شاهد على ان صعود الامة اوج المعالي او هبوطها الى الحضيض انما هو ثمرة افعالها ونتيجة اعمالها واما في الحاضر فلأن الحال انما هو تمثال الماضي والشاهد عنوان الغائب واعظم فوائد التاريخ ان نقيس ما نشاهدهُ على ما تسمعهُ وما حضرك على ما غاب عنك حتَّى يمكنك ان تحكم على الحال بما يماثلهُ في الماضي وعلى الاستقبال بنظيرهِ في الحال متى تشابهت المقدمات واتفقت الوسائل والمعدات وذلك لاتحاد الاسباب وتوافق العلل وعدم اختلاف الامم في الضروريات والمصالح والحاجيات في كل زمان وفي كل مكان لكي يتسنَّى لك بعد ذلك ان تحكم على رجال الحل والعقد بمقتضى اعمالها وتسمها بسمة نتائجها كائنة ما كانت

غير ان ذلك الحكم وان كان واضح المسالك جلي الاسباب ولكنهُ اشبه شيء بالسهل الممتنع وذلك لان شرطهُ الاعظم ان يتخلى الحاكم عن التشيع النفساني ويتجرَّد عن الميل الشهواني لان الهوى حجاب يحول دون الحقائق وحبُّك الشيء يعمي ويصم

فليس اذاً من شيم الانصاف الاقدام على الحكم بشيء او على شيء الاَّ بعد التخلية المذكورة وقلما يتوفر ذلك ولا سيما لكتَّاب الجرائد الاجنبيَّة ونحن وان كنا نحاشي منهم حضرة صاحب المنشور لكننا قد وجدنا اعتراضاتهِ على تقرير نظارة المعارف المصرية المدرجة بتاريخ ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٨٩ ناحيةً هذا النحي

ولما كانت جريدتكم الغراء مقصودةً على الذود عن هذا الوطن العزيز والمدافعة عن حقوق حكومتهِ السنيَّة تشهد لها بذلك اعمالكم منذ نشأة الجريدة والاعمال اعدل شاهد رأينا

ان نقصد ابوابها انتصارًا للحق واظهارًا للحقيقة وتأييدًا للصدق فنقول

ليس من ينكر ان للوزارة الحاضرة اعمالاً تؤثر وتذكر ومساعي تحمد وتشكر وذلك دأبها كلما تلقى رئيسها مقاليد الاحكام وازمة الامور لان هذا الرئيس قد وقف نفسهُ على مصلحة البلاد وخير العباد طبقًا لافكار الجناب العالي الخديوي وذلك دأبهُ من بادىء امرهِ الى ان تدرّج الى هذه المعالي ولو اخذنا في تفاصيل محاسن اعمالهِ لضاقت عنها الصحائف ولو لم يكن منها سوى استتباب الامن وانتظام حالة الماليَّة واستعمال الفكر فيما يوجب رواج الزراعة واتخاذ الوسائط لراحة الاهالي فيما هو مقرَّر عليهم وغير ذلك من المآثر لكفى اذ ان الماليَّة ونعيم الامن هما قوام الممالك وعليهما تدور امورها وتنتظم احوالها

ومعلوم انهُ متى كان الرئيس بهذه المثابة فلا يجوز ان يختار لتعضيدهِ سوى من هو على شاكلتهِ هذا فضلاً عن استطلاعهِ بنفسهِ اعمال النظارات وتفقدهِ احوالها حسب الامكان اذ ليس من دأبهِ اضاعة الزمان ولا امضاء الوقت سدًى ولا الركون الى فرط الراحة والنزاعُ في ذلك مكابرة في الحس اذ فضل دولتلو رياض باشا غنيٌّ عن الذكر وكذا فضل وزارتهِ وبذلك لا ننكر فضل سواهُ والرؤساء السابقين والوزراء الماضين وانهم جميعًا يقصدون مصلحة البلاد غير انهُ لا ينبغي ان يفوتنا انهُ لا يلزم من قصد المصلحة والاهتمام بها حصولها فعلاً اذ ليس على الرامي ان يصيب الغرض بالفعل وانما يلزمهُ احكام التسديد واتقان الاسباب كما اننا من جهة اخرى لا ننكر لا نحن ولا كل من شم رائحة الانصاف ان هذا الرئيس قد أتى لوزارتهِ السابقة والحاضرة كثيرًا ممَّا استعصى على الغير وهذا وحدهُ ينادي بفضلهِ وفضل وزارتهِ على رؤوس الملا ويحكم لهُ بذلك شاء المكابر او ابى

فليس من الصواب ان يحرم الوسم بسمة اعمالهِ فان الرجال بالاعمال خصوصًا وزارة المعارف فكم حلت معضلات وجددت تحسينات ووسعت دائرة التعليم والتعلُّم الى غير ذلك مما تراهُ بعد

ومن ذا الذي يرتاب في جد ناظرها الحاضر واجتهادهِ وانهُ اسس المكاتب الاهليَّة في المدن والبلاد وجعلها على ما هي عليهِ الآن من النظام وساعد العلم والعلماء على انشاء الكتبخانة الخديوية واسَّس مدرسة دار العلوم وجاء بكثير من المنافع العلميَّة والصناعيَّة

فليس من الانصاف التغافل عن هذه المآثر على ان التقرير المرفوع من نظارة المعارف ليس الاَّ بيانًا لما اجرى من التحسينات في دائرة التعليم والتعلم في سنة ٨٨ والامر فيهِ ظاهر لمن لم يكن لهُ غاية الاَّ الاصلاح

اما ما اطالت بهِ جريدة البسفور في اعتراضاتها على ذلك التقرير فمنحصر في امرين

احدها يرجع الى ما غفلت عنهُ او تغافلت والامر الآخر يرجع الى رجم بالغيب وهجوم على ما لم تعلم ولولا دفع ما ربما تنسبهُ الينا من الميل النفساني الذي بهناها عنهُ لطويناها على غيرها ولاعرضنا عن ذكرها واكتفينا بهذا المقدار في الرد عليها بدون ان نذكر ملخص تلك الاعتراضات لانها جديرة بعدم الالتفات لكننا رغبنا في ان نريها ما غفلت عنهُ او تغافلت فلخصنا ذلك التقرير وامعنا فيهِ النظر حتَّى انتهيناهُ وهذا سبب تأخير الرد الى الآن ومرادنا بهِ ان تعلم هذه الجريدة ان على اثرها ناقدًا بصيرًا وان وراء الاكمة رجالاً فنقول

ان ما زعمتهُ تلك الجريدة من اهمال النظارة نتائج التعليم امر لا ينطبق على الحقيقة اذ ان التقرير واضح فيهِ ان النظارة قد وجهت افكارها الى فائدة عمومية في امر التربية وهي ان تجعل المتعلمين في جميع المدارس مستعدين للقيام بمعيشتهم ونفع بلادهم وانفسهم واهلهم فلها غاية تامة بادخال ما تلزم معرفتهُ من الامور التجارية والزراعية والاقتصاد وعلم الاشياء والمساحة ومسك الدفاتر وتدبير المنزل الى غير ذلك

فان المدارس الاميرية لم يكن الغرض منها الاَّ تربية شبان البلاد لنفع اوطانهم لا لاستخدامهم بمصالح الحكومة خاصةً فان تعميم التربية يستلزم ان يكون الانسان قادرًا على الخدمة في تلك المصالح وغيرها ومع هذا فبجمدهِ تعالى وعناية الحضرة الخديوية قد حظي المصريون بصدور لوائح وقوانين تحثهم على اجتناء ثمار العلم وتحتم اولوية الاستخدام بمصالح الحكومة السنية

وقد ذكر في التقرير عند الكلام على التعليم الثانوي ما حصل من التحسينات في تعليم اللغات الاجنبية فانهُ عوضًا عن ان يوكل امرهُ الى من لم تتوفر فيهم شرائط التدريس فان النظارة فضلاً عما اجرتهُ من انتخاب مدرسين مستكملين شرائط الاستعداد قد زادت في الوقت المقرر لهذا التعليم فجعل متوسط عدد الحصص في الاسبوع ١٤ بعد ان كان ٧ ومع اجراء ذلك لم يحصل اخلال بما هو مقرر لباقي العلوم وادخلت في مواد تعليم اللغات المذكورة علومًا كانت تدرَّس بالعربية من غير اكفائها فنتج من ذلك الادخال فضلاً عن تلقي التلامذة قواعد واصولاً صحيحة انهم نقلوا في تلك اللغات وقد ظهرت ثمرة ذلك مع انهُ لم يجر الاَّ في سنة واحدة فما بالك لو مضى عليهِ المدة المقررة للتعليم . ولم تقدم النظارة على ذلك الاَّ بعد تكرار المداولات في لجانٍ متعددة شكلتها لذلك فاختارت الكتب والمواد لتوحيد التعليم في جميع المدارس

ولا تنسَ ما اجرتهُ النظارة من التحسينات في دروس اللغة العربية لانهُ لما كانت لغة

هذه البلاد وحكومتها واهليها انما هي اللغة العربيّة فقد جعلت اساس التعليم ولذا لم تقتصر النظارة على تحسين مسير تعليمها باختيار الكتب الدراسيّة لها بل نظرت الى ما ينفع الشبان في دينهم ودنياهم ووسعت الوقت المقرّر لتعليم العربيّة وساوت الوقت في التعليم التجهيزي بين هذه اللغة واللغة الاجنبيّة وجعلت في هذا التعليم استعمال المحررات والانشاءات على قواعد اللغة لتطبيق العلم على العمل

وللوصول الى هذه الغاية قد وسعت دار العلوم لانه عوضًا عن ان يحصر عددها في ٣١ طالبًا متفاوتي الاستعداد قد جرى انتخاب تلامذتها ممن تلقوا العلوم العربيّة لغةً وشريعةً وبلغ عددهم الآن ٥٨ وانتظمت دروسهم واوقاتهم وانتخبت لهم الكتب اللائقة . وقد منحهم الحضرة الخديوية ان اصدرت امرها باعدادهم الى وظائف القضاء فوق ما هم معدون له من وظائف التدريس وغيره وبناء على ذلك شكلت لجنةٌ مؤلفةٌ من الاستاذ الفاضل شيخ الجامع الازهر واساتذة المدرسة برئاسة سعادة ناظر المعارف ونظرت في جدول الدروس فجعلته ملائمًا للغرض المقصود ثم زيد في عدد المدرسين بناء على توسيع نطاق التدريس وزيادة عدد الطلاب حتّى كُلِّف منتشو اللغة العربيّة بالتدريس فيها وفضل هذه المدرسة مشهورٌ اذ قد نبغ منها كثيرون ممن انتفعت بهم البلاد في وظائف التدريس وغيرها فقاموا بذلك احسن قيام

وبذا يظهر ان النتيجة المقصودة للنظارة انما هي احياء اللغة العربيّة وتقليد وظائف التدريس لمن يحسنها وتولية القضاء لمن يقوم به طبق اصول الشرع الشريف

وبمثل ما نظرت في هذه المدرسة العالية نظرت في المدارس الاخرى كمدرسة الحقوق فانها اكملت عدد المدرسين فيها وانتخبتهم من المستعدين بعد الاختبار وادخلت فيها باقي الفروع اللازمة لمن يترشح للمجالس وخدمة الحكومة مثل قوانين الملل والقانون الاداري والاقتصاد السياسي وعوضًا عن ان تكتفي من الشريعة الغراء بكتاب الاحوال الشخصيّة قد ادخلت العلوم الشرعيّة الضرورية لكل انسان في احتياجاته واحتياجات اهله ووطنه وحكومته مع تلقينهم ما تهذب به اخلاقهم وتتزين به عقولهم فصار شبان هذه المدرسة مترشحين لجميع المصالح اهليّة كانت او غيرها عوضًا عن ان تكون المصلحة خاصة فيخرج منها كتبة ومترجمون وموظفو ادارة ورجال للقضاء ونحو ذلك وجرى مثل ذلك في مدرسة المهندسخانة بان قلل تدريس المواد النظرية واقتصدت على ما هو ضروري حقيقةً لتأدية اشغال المهندس في هذه البلاد مع زيادة الاهميّة لدراسة المواد العلميّة خصوصًا فيما يتعلق بمصلحة

الري والعمليات والتصميمات البنائية وذلك لان القصد من هذه المدرسة اعداد مهندسين للاشغال العملية يكونون ذوي دراية كافية فيما تقتضيه البلاد من الاعمال

وفي مدرسة الفنون والصنائع زيد عدد التلامذة فصار ٣٣٨ بعد ان كان ٢٧٠

وقد اقتضت هذه الاصلاحات كلها انفاق مبلغ ٤٠٠٠ جنيه في سنة ١٨٨٣ في شراء كتب ومواد للتعليم ولوازم للمعامل الطبيعية والكيماوية بعد ان كان ينفق في ذلك ٢٩٠٠ جنيه ومعلوم ان زيادة هذه التحسينات من شأنها ان تبعث الرغبات على التحلي بحلية العلوم والمعارف فلذا بعد ان كان عدد التلامذة آخذًا في النقص اخذ الآن في الزيادة لانه كان في سنة ١٨٨٤ ٣٠٣٥ بالنسبة للمدارس الميرية فنزل في سنة ١٨٨٥ الى ٢١٦٨ وفي سنة ١٨٨٦ الى ١٨٥٢ واستمر كذلك الى سنة ١٨٨٧ وفي انتهاء سنة ١٨٨٨ بلغ ٢٣٩٢ فانت ترى ان عدد التلامذة قد اخذ في الزيادة تدريجًا في زمن النظارة الحاضرة وكذا عدد المعلمين اذ قد زادوا ٢٤ معلمًا ومرتبهم السنوي ٤٢٢٣ جنيه اخذ من نفس الميزانية بدون ان يضر بمصلحة المدرسين والمستخدمين

ولم تهمل النظارة نتائج التعليم كيف وهي مطمح انظارها والامر المهم الموجه لنوالهم المعلمين كما يتضح لك ذلك من عدد من حصلوا على الشهادة النهائية وهم ٨٥ تلميذًا مستخرجون من ٣٦٥ وهو عدد الموجودين في هذه المدارس فضلاً عمن حازوا الشهادة الثانوية

ولم تترك النظارة هؤلاء الشبان وشأنهم يسعون على معاشهم ويكابدون آلام الفشل ومشقة الحاجة بل شملتهم العواطف الخديوية بترتيب الف جنيه سنويًا من الميزانية الاصلية المربوطة للنظارة تنفق على من لم يستطع منهم القيام بشؤون نفسه مدة سنة يكون فيها تحت التمرين في احدى مصالح الحكومة الى ان ينظم في سلك مستخدميها . وقد سعى سعادة ناظر المعارف الحالي في الوسائط المؤدية الى استخدامهم بمصالح الحكومة تنفيذًا للوائح والمنشورات التي مضمنهم الاولوية كما سبق فاستخدموا جميعًا وانتفعت منهم اوطانهم كما هو الغرض من تربيتهم كما ان النظارة قررت لتلامذة مدرسة الصنائع اعانة قدرها عشرة جنيهات تعطى لكل تلميذ حصل على الشهادة النهائية ليستعين بها على اصلاح شأنه في نفس صناعته

واما دعوى البوسفور ارتياح النظار الى زيادة المصروفات المقدرة على التلامذة فمحض افتراء لان هذه المصروفات بقيت في سنة ١٨٨٨ على ما كانت عليه وانما في سنة ١٨٨٩ رأت النظارة ان التلامذة الخارجية لا حق لهم في اخذ الكتب التي يدرسونها فتارة يشتريها اهلوهم وتارة يتوقفون عن ذلك فترتب على هذا خلل في

نظام التدريس اذ ان من الضروري حصول التلامذة جميعًا على الكتب التي هي من اهمّ معدّاتهم التعليميّة فعرضت النظارة على اللجنة الاستشارية هذا الامر فرأت وجوب تعديل المرتبات التي تدفعها التلامذة وان يشمل ذلك التعديل جميع التلامذة الذين يدفعون تلك المرتبات غير ان النظارة رأت ان لا يعامل بذلك سوى من يتجدّد دخولهم من التلامذة ورسمت بان يصرف للتلامذة المجانيّة ما يلزمهم من الكتب ولم تكن تصرف لهم قبل ذلك وليس هذا الامر قليلاً فان قيمة ما يصرف لهم من الكتب يساوي ٥٠٠ جنيه سنويًا

ومن امعن النظر فيما ينفقهُ اهل التلامذة على ابنائهم يتضح لهُ انهُ قليل جدًّا بالنسبة لما تنفقهُ الحكومة عليهم لان نفقات التلميذ في مكاتب الدرجة الثالثة ١٥٥ قرشًا سنويًا سوى المسكن والادوات التعليميّة والمقرّر عليهِ دفعهُ ٤٠ قرشًا فيكون ما تنفقهُ الحكومة على التلميذ اكثر مما هو مقرّر عليهِ دفعهُ باضعاف

وهكذا في مكاتب الدرجة الثانية اذ يدفع التلميذ فيها جنيهًا واحدًا في السنة مع ان ما تدفعهُ عليهِ الحكومة يبلغ ٢٧٩ قرشًا سنويًا ومكاتب الدرجة الاولى يدفع فيها التلميذ مائة وخمسين قرشًا سنويًا ومصروفهُ على الحكومة يبلغ في السنة ٣٦٥ قرشًا

وفي المدارس التجهيزية تنفق الحكومة على التلميذ الداخلي ٢٢ جنيهًا وهو يدفع على حسب ما تقرّر الآن ٣٠ جنيهًا وذلك بالنسبة لما تنفقهُ الحكومة اقل من الثلثين مع تمتعهِ بالمأكل والملبس والمسكن وغير ذلك من المنافع وعلى التلميذ الخارجي ٣٦ جنيهًا وهو لا يدفع عشرة جنيهات ونسبتهُ الى ما تنفقهُ الحكومة اقل من النصف

واضف الى ذلك من تقوم الحكومة بشؤون تربيتهم وتعليمهم من التلامذة الذين هم لا يدفعون شيئًا وعددهم ١٥٢٣ وهو بالنسبة لمجموع التلامذة ٢٢ في المائة

اما المدارس العالية فانها وان كانت غاية المقرّر دفعهُ فيها سنويًا على التلميذ خمسة عشر جنيهًا في السنة فالمتحصل منها لم يزد على ١٢٠٠ جنيه من ١٢٦ تلميذًا مع ان مجموع من فيها من التلامذة ٢٨٧ ومصروفاتهم في السنة ٢٦٢٦٤ جنيهًا وبذا يتضح لك ان ما تدفعهُ التلامذة في هذه المدارس يسير جدًّا بالنسبة لما تصرفهُ الحكومة على تعليمهم وتمتعهم بالمنافع المذكورة .

هذا ولم تقصد الحكومة بما قرّرت دفعهُ على التلامذة جعل هذه المدارس مصالح ذات ربح كما زعم البوسنور اذ لا يخفى على احد ان البلاد المصرية ليست الآن كما كانت سابقًا

بل انها تدرجت في طريق التمدن . ولاتساع دائرة الاختلاط والمعاملة مع البلاد الاجنبية علم المصريون فضل التعلم فانبعثت فيهم روح الرغبة في الميل اليهِ حتّى ارسل البعض ابناءهم الى تلك البلاد وتحملوا فوق المصرف الزائد ألَمَ الفرقة فاقتضت شفقة الحكومة النظر في تيسير هذا الامر وتعميمهِ للفقير والظاعن مراعيةً في ذلك طبقات الناس وتفاوتهم في الثروة فحذت حذو الممالك الاخرى المتمدنة وسنت لذلك قوانين سهلت فيها هذه المنفعة بان قرّرت مرتبات يسيرة راعت فيها الثروة الوسطى فاصبح التعليم سهل الحصول لعموم الامة في مصر واوربا وعوضًا عن ان يدفع عن التلميذ في اوربا مائة جنيه سنويًا يدفع عليهِ في مصر اقل من الربع مع وحدة التعليم في الاساسيات ومع هذا لم يحرم الفقير من اجتناء ثمار العلوم مجانًا ولا من التمتع بالمأكل والملبس وغيرهِ مما سبق ذكرهُ والدليل على ذلك وجود ١٥٢٢ تلميذًا يتعلمون مجانًا . على ان دفع مصاريف التعليم ممن يقدر على دفعها امر مقرّر في مدارس الممالك المتمدنة ولو قارنا بينها وبين المدارس المصرية في ذلك لوضح فضل مصر وذلك لايحتاج الى دليل لانا نعلم ان التلميذ الداخلي في المدارس الثانوية بفرنسا يدفع من ٨٠٠ فرنك الى ٥٠٠ فرنك سنويًا ومتوسط ذلك ١١٥٠ فرنكًا تساوي اربعة واربعين جنيهًا مصريًا والخارجي في المدارس العالية يدفع ٦٠٠ فرنك سنويًا في مقابلة عوائد ورسوم امتحانات وذلك يساوي ٢٣ جنيهًا وفي المدارس الابتدائيّة يدفع الخارجي شهريًا من ٦ فرنكات الى ٨ فرنكات ولا اكل لهُ ولا كسوة ومتوسط ذلك ٧ فرنكات شهريًا فتساوي في السنة المكتبيّة ٢٧٠ غرشًا

فمصروفات مدارس مصر فضلاً عن قلتها عن ذلك بكثير تمتع التلامذة بما ذكرنا بخلافها في اوربا فان تلامذتها ليس لهم اكل بالمدارس ولا ملبس ولا مبيت

وايراد مدارس مصر بالنسبة لمبلغ ٨٢٠٤١ جنيهًا (قيمة المصروفات المقدرة للمدارس والمكاتب) يساوي سبعة عشر في المائة اي ان ثلاثة وثمانين في المائة تصرف من جانب الحكومة والمكاتب الاهليّة وهذا مبلغ كبير

واما ما ادعاهُ البوسنور من نسبة تنقيص الميزانيّة الى النظارة الحاضرة فلا اصل لهُ لان ميزانيّة المعارف تنقسم الى قسمين قسم يختص بالمكاتب الاهليّة التي مصروفاتها من ايراداتها وقسم يختص بالمدارس الاميرية التي تنفق عليها الحكومة وهذا القسم تارة تأخذ ميزانيتهُ في الازدياد وطورًا في النقص تابعةً في ذلك ظروف الاحوال الماليّة والرغبة في نشر المعارف واتساع نطاقها ولكون الحكومة من عادتها ان تشرموازنتها كل سنة فمن

يطّلع عليها يجد ميزانيّة المعارف بعد ان كانت آخذة في الارتقاء اخذت في الهبوط ثم عاودها الارتقاء في ايام هذه الوزارة الحاضرة فانها بعد ان وصلت في سنة ١٨٨٤ الى ٩٩٩٧٧ خفضت في سنة ١٨٨٥ الى ٨٤٦٨٩ وفي سنة ١٨٨٦ الى ٦٨٤٩٣ واستمرت هكذا الى سنة ١٨٨٨ فعادت الى الاخذ في الزيادة من ابتداء سنة ١٨٨٩ (السنة الحاضرة) حيث قدرت فيها بمبلغ ٦٩٨٤٦ جنيهًا وفي سنة ١٨٩٠ ستكون بمبلغ ٨٠٣٢٧ جنيهًا ولكون مربوط المكاتب الاهليّة هو مبلغ ١٨٧٧ جنيهًا ومربوط المكاتب التي احيلت من الاوقاف ٤٦٠٠ جنيهًا فتكون كميّة الجميع ١٠٦٨١٤ جنيهًا وهذا يدل على ارتياح الوزارة الحاضرة الى ما هو مطمح انظار الحضرة الخديوية من زيادة نشر المعارف بدليل ترقي الميزانيّة في عهدها الى الصعود التدريجي كما رأيت ويدل ايضًا على توفر رغبات الاهلين في تحلية ابنائهم بحلية العلم وانبعاث هممهم الى ذلك

ومعلوم ان داعية هذه الرغبات وموجب هذا الانبعاث سبقة ميل الوزارة الحاضرة الى تنوير الافكار وتوسيع نطاق العلوم وتعميم نشرها لسكان الاوطان وان النظارة الحاضرة قائمة باداء ما يجب عليها للوصول الى هذه الغاية كما وضح لك بالعيان مما لا يختلف فيه اثنان

على ان هذا التقرير الذي يتكلم في شأنه البوسنور مختص بسنة ١٨٨٨ وقد ذكر فيه ما كان تحت تصرف النظارة من المبالغ في موازين السنة المذكورة وهو مبلغ ٨٣٤٧٤ جنيهًا ومع زيادة عدد التلامذة الى مقدار ما سلف ذكرهُ وما زيد في عدد المعلمين وما استحضر من الادوات واللوازم وما اعطي من الاعانة لمعمي الدراسة وغير ذلك من المصروفات لم يزد هذا المربوط بل نقص ٢٢٣ جنيهًا في موازين سنة ١٨٨٩ ومن ذلك يتضح ان البوسنور قد حاد عن جادّة الانصاف وسلك سبيل الاعتساف ونبذ الحق ظهريًا لان من يتأمل التقرير يتضح له جليًا حسن سير هذه الاعمال اذ صار ما يصرف على التلميذ في المدارس الاميرية ٢٧ جنيهًا بعد ان كان ٣٥ جنيهًا اي انهُ نقص قريبًا من الربع وتنفق على التلميذ في المكاتب الاهليّة ٤ جنيهات بعد ان كان ٥ جنيهات اي انهُ نقص الخمس ولم تزل النظارة مجدة في الحصول على تخفيف هذا المصرف اذ بنقص التكاليف يزاد عدد المعلمين وهذه هي الغاية القصوى التي تسعى خلفها الحكومة السنيّة لانتفاع بلادها . ولقد اوضحت النظارة في مقدمة التقرير أنهُ قد ساعدها على ذلك كلهُ ما اجرتهُ من الاقتصاد في بعض اقلام المصروفات لاستعمالها في سبيل التعليم . وقد وضح بالتقرير في جدول المصروفات زيادة مربوطا لمدارس الاميرية في سنة ١٨٨٩ هو ثلاثمائة وجنيهان وان النقص انما حصل في

مربوط المكاتب الاهليَّة التي ينبغي ان لا تزيد مصروفاتها عن ايراداتها ومع هذا النقص فيها فقد زادت كميَّة مدارسها وعدد تلامذتها اذ قد زادوا ٥٤١ تلميذًا كما بالجدول نمرة ٣

واما ما ذكر في تلك الجريدة من زيادة مرتب موظفي الادارة على مرتب المدرسين فهو مما لا يعترض عليهِ لان اولئك الموظفين كانت اعمالهم قاصرة على ما يختص بالمدارس الاميريةوهي تسع لا غير ولما احيل على النظارة المكاتب الاهليَّة ومكاتب الاوقاف وجميع ما يختص بادارة الكتبخانة الخديوية وما استجدَّ من المدارس بعد ان كانت اعمال ذلك كلهِ من متعلقات ديوان الاوقاف اضيفت هذه الاعمال على هؤلاء الموظفين وعوضًا عن ان يزيد عددهم بسبب هذه الاضافة خفض الى ٢٣ بعد ان كان ٣٠ وصار راتبهم السنوي ٣٦٣٦ جنيهًا بعد ان كان ٥٦٠٤ فمتوسط الواحد ١٦٥ جنيهًا وهذا ليس كثيرًا في جانب ما يتكبدونهُ من تلك الاعمال الجمة

اما اولئك المدرسون فمن المعلوم انهُ كلما خفضت نفقات التعليم ازداد عدد المتعلمين اذ ان الحكومة الوطنيَّة في كل البلاد تجتهد في توسيع نطاق التعليم ولا ريب ان هذا التوسيع يستوجب ان لا يصرف غير اللازم فيما يلزم لان التعليم الابتدائي غير القانوني وهو غير العالي ومعلمو الابتدائي في جميع بلاد الدنيا هم الحائزون على ضروريات ولا شك انهم العدد الاكثر في الكتاتيب وغيرها والمرتب عندنا لاحدهم سنويًا من ٣٠ جنيهًا الى ٩٦ جنيهًا ولو نسبناهُ للجاري في البلاد الاجنبيَّة لوجدناهُ ازيد لان اكبر مرتب لهم في فرنسا هو ستة وسبعون جنيهًا في السنة وهكذا في غيرها

وكذا التعليم القانوني اذ ان اقل مرتب المعلم عندنا ١٢٠ جنيهًا واكبرهُ ٣٦٤ جنيهًا مع ان اقل مرتب في المدارس القانونيَّة بفرنسا ٤٦ جنيهًا واكبرهُ ٣٣١ جنيهًا

واما نهويله في شأن مصاريف مدرسة المهندسخانة فلا شك ان التعليم الخصوصي امر مهم كل حكومة في تربية شبان الوطن حتَّى تنتفع بهم البلاد وهو لا يتم الاَّ بمعلمين امتازوا بالتربية لخصوصيات كل علم فمن الضروري مكافاتهم على تعبهم كلٌّ حسبما يدرسهُ من العلوم العالية فالحكومة لا تنظر الى ما تنفقهُ على هذه المدارس بل تنظر الى تربية شبان ينفعون البلاد مهما بلغت نفقاتهم ألا ترى ان مرتب الواحد من معلمي المدارس العالية في اوربا سنويًا من ٨٠٠٠ فرنك يساوي ٣٠٩ جنيهات الى ١٥٠٠٠ فرنك يساوي ٥٧٨ جنيهًا مع ان غاية مرتبهِ في مصر في النهاية العظمى لا يزيد عن ٣٦٠ جنيهًا فان نفقات التلميذ في مدرسة المهندسخانة لم تبلغ ١٢٥ جنيهًا كما يقول صاحب البوسفور لان المصروفات التي قررتها النظارة الحاضرة

لهذه المدرسة لم تكن ٤١٤٠ جنيهاً كما يذكر بل هي تبلغ ٢٥٨٥ جنيهاً لسنة ١٨٨٩ كما يظهر لك من الجدول نمرة ١ وحيث ان عدد التلامذة فيها كان ٢٥ كما في الجدول نمرة ٣ فيخص التلميذ مئة جنيه وجنيهان لا ١٢٥ جنيهاً على اننا نعلم ان ميزانية هذه النظارة قدرت لسنة ١٨٩٠ بمبلغ ٢٥٩٥ جنيهاً وفيها من التلامذة الآن ٤٣ فحينئذٍ لا يخص التلميذ الاّ ٨٠ جنيهاً فقط ولا تزال النظارة تسعى في تنقيص هذه المصروفات حسب الامكان

على ان التلميذ في فرنسا ينفق عليه في التعليم الثانوي في السنة ٣٠٠٠ فرنك فهو يعادل ما ينفق في مصر على التلميذ في المدارس العالية فما بالك بالتعليم العالي هناك

واما ما ذكرهُ البوسفور في شأن رسالتي فرنسا ولوندرة فالذي يهم الحكومة الخديوية انما هو نجاح الجميع فان الديار المصرية لداعية الاختلاط وما اكتسبته من التمدن بهما الاعتناء بتربية شبانها وتعليمهم اللغات الأجنبيَّة ومعرفتهم احوال البلاد الخارجيَّة بمقتضيات احوال الوطن ورواج مصالحهِ لان مصر مورد يؤمهُ اكثر سكان المعمورة وتبعث اليهِ بضائعها ومصنوعاتها وكثير من الاجانب متوطن بها فمن الضروري معرفة اللغات الاجنبيَّة لانها من لوازم الحكومة ولوازم البلاد ومعلوم ان الحصول عليها لا يتم الاّ بتلقيها ممن كانوا اهلاً لتدريسها ولهم عليها وقوف تام ومعرفة بطرق التعليم ولهذا اهتمت الحكومة بانشاء مدارس للمعلمين كالمدرسة التوفيقيَّة الخديوية واستحضرت لها مدرسين مستعدين للقيام بهذه الخطة ليخرج منها من يلزم لاداء وظائف التدريس في اللغات الاكثر استعمالاً في بلادها ولما كان اتساع التعليم يستلزم زيادة المعلمين ارسلت الحكومة شبانًا الى البلاد الاجنبيَّة لهذا الغرض وليس ذلك الارسال امراً مستحدثًا على الحكومة اذ انهُ معهود من زمن المغفور لهُ محمد علي باشا ولم تزل الارسالیات لتلك البلاد متتابعة الى الآن فلا وجه لتنديد البوسفور على هذا الامر لان الحكومة بسرها نجاح شبانها المقيمين في فرانسا كنجاح المقيمين في انكلترا والنمسا وايطاليا وغيرها

وكفى بالعيان شاهدًا على فضل الرجال لان من كانت اعماله مصداقًا لاقوالهِ كان اولى الناس بالثناء او لا اقل من ان لا يجعل غرضًا لاسهم التنديد وهدفًا للاختلاق وغرضًا للتانيب بلا سبب ولا موجب الاّ كما يقال الحسود غضبان على من لا ذنب لهُ وبالجملة فالرجوع الى الحق انصاف وتحري الصدق من شيم الكرام فنسأل الله تعالى دوام التوفيق والسلوك الى اقوم طريق

كتب قواعد اللغة

حضرة منشئي المتنطف الفاضلين

عثرت هذه الاثناء في متنطفكم الاغر على جملة عنوانها تعلم قواعد اللغة العربيَّة ابدى فيها كاتبها ما عندهُ من البراهين على صحة رأيهِ وفوائد العمل بهِ فشكرت عثاري اذ تهيأ لي بهِ ان اطرق موضوعًا طالما وددت ان اخوض بهِ على قصر باعي فاقول

حدَّد العلماء اللغة انها الفاظ يعبّر بها كل قوم عن اغراضهم اما لفظًا او كتابة والغرض من قواعدها انما هو التوصل الى كيفيَّة التعبير عن هذه الاغراض بوجهٍ صحيح خالٍ من الخلل والابهام . ولا شكَّ ان قواعد اللغة اذا كانت قريبة المنال سهلة المأخذ رغب فيها الطالب وامكنهُ حفظها في وقت يسير وخصص بعد ذلك باقي وقتهِ لما فيهِ نفعهُ ونفع غيرهِ من احراز العلم وترقيتهِ وتطبيقهِ على عوز البلاد . ولقد عرف الاوربيون ذلك حق المعرفة فبسطوا قواعد لغاتهم وسهَّلوا مأخذها ليحصلها الطالب في وقت يسير ويخصص ما بقي من وقتهِ بعد درسها للتضلع من العلوم والمعارف وتوسيع نطاقها . ففي كل يوم تكثر عندهم الاغراض وتتزايد المخترعات ويرتقون علمًا وعدنًا . ولا يزالون مهتمين مثلنا في امر لغتهم ولكنهُ اهتمام يختلف عن اهتمامنا بالنوع لا بالدرجة فهم يسعون في كل مؤلفاتهم الجديدة لان يحوّلوا قواعد لغتهم من سهل الى اسهل حتَّى انهم عندوا جمعيات خصوصيَّة لهذا الامر ونحن نسعى عكس ذلك فلا نزال على قديم قواعد اجدادنا غير متجرئين على بسط او حذف او غير ذلك مع ان حاجيَّاتنا تباين حاجيَّاتهم واحوالنا تختلف عن احوالهم ولا يزال اكثرنا يستاء من سماع كلامًا في بسط القواعد وتغيير ترتيبها ويؤثر القديمة ولو قضى على حفظها السنين الطوال

ولقد كنت اظن بعد رؤيتي الهبَّة التي هبَّ فيها المؤلفون على تغيير نسق التأليف ان الحال اختلف عمَّا كان وانهُ سيكون لمؤلفاتهم وقع عظيم عند العارفين بما انطوى عليهِ النسق القديم وذلك لما تضمنهُ من حسن الترتيب وبسط العبارة وغير ذلك ممَّا دلَّ الاختبار على افضليتهِ . فلمَّا جاء متنطفكم وفيهِ المقالة التي اشرت اليها في صدر كلماتي رأيت فيها تكذيبًا لظني ومناقضة لما اعتقدهُ ويعتقدهُ كثيرون من اهل الخبرة وذوي الدراية فاتيت اردّها بالحجة وانقضها بالبرهان راجيًا العفو عمَّا يطغو بهِ القلم فان العصمة لله

قال الكاتب في اول براهينهِ "ان قواعد اللغة كقواعد الحساب والهندسة لا تقبل التغيير الخ وان ما كان كافيًا في ايامنا وايام اجدادنا لمعرفة صحيح اللغة من فاسدها ينبغي

ان يكفي ابناءنا الخ "

اما قواعد اللغة فسواء كانت تقبل التغيير او لا تقبله فليس لنا الاَّ البناء عليها لاسباب كثيرة ليس ذكرها من دائرة بحثنا واما ما كان من القواعد كافيًا في ايام اجدادنا لمعرفة صحيح اللغة من فاسدها فيكفينا ويزيد ونحن لا نتذمَّر من عدم كفايته بل من كثرته وتعقيده وتذمُّرنا في محلهِ لانهُ يمكننا الاستغناء عن عددٍ غير قليل من القواعد كقواعد المجاورة واسم الفعل والحكاية وبعض قواعد الاستغاثة والندبة وغير هذه ممَّا هو قليل الاستعمال . ولست اقصد في الاستغناء عنها نحتها وتغليط كل ما اتى من الكلام معمولاً بهِ بموجبها بل ان تجتنب في كتب التعليم الابتدائيَّة ويُترك التفصيل عنها للمطوَّلات ليطَّلع عليها الخاصة الذين يولعون باللغة

ثم قال ان صعوبة قواعد اللغة مزية لها « ولولا هذه الصعوبة ما مارسها طلبة العلم ولا صارت لهم ملكة التعبير الصحيح » وهنا اظنهُ استسمن الورم لانهُ لو قدَّر قيمة الوقت الذي يضيعهُ الطالب على درس القواعد وقيمة ما يحصلهُ من التعبير الصحيح منها لوجد فرقًا بيِّنًا بين الامرين يثنيهِ عن رأيهِ . ومهما كانت قواعد اللغة صعبة واضطر طلبة العلم الى ممارستها لا يحصلون من ملكة التعبير منها الاَّ دون الطفيف وكفاهم ان يفهموا مغزاها ويستوعبوا معناها . وانَّ مَن خبر احوال طلبة العلم وهم يدرسون قواعد اللغة في الكتب المشار اليها ورأى الوقت الثمين الذي يضيعونهُ بين حل الغازها وفك معمياتها يرثي لحالهم ولا يرى واسطة لتخفيف اتعابهم الاَّ ببسط المعاني وتغيير الاسلوب . اما صحة التعبير التي يختصُّ بها حضرة الكاتب فتأتي من وراء الممارسة في الكتابة ومطالعة كثير من الكتب الفصيحة العبارة المختلفة المواضيع في اللغة ليطلع الطالب على التعابير المختلفة المرَّة بعد المرَّة وترتسخ في ذهنهِ . وهو مع كل ذلك قد يصبح قادرًا على امتلاك ملكة التعبير العربيِّ الصحيح وقد يبقى عاجزًا عن ذلك . ولو كانت صعوبة قواعد اللغة مزية لها لما كان اغفلها الافرنج وقصروا عنها وهم لم يتركوا مغرمًا الاَّ طرقوهُ او مغنمًا الاَّ حصلوهُ فهل لم يفتح الله عليهم بما فتح بهِ علينا حتَّى انهم في كل يوم لا يفترون عن تسهيل قواعد لغتهم وتحسين تبويبها كي لا يجد الطالب صعوبةً في استحصالها ولا يتكلف بذل معظم عمرهِ في سبيل نيلها . فقد بسطوا قواعد لغاتهم الى حدٍّ اصبح فيهِ السوريّ والمصريّ ناهيك عن ابن اللغة نفسها يحصل قواعد اكثرها قبل ان يحصل قواعد لغتهِ ومَن كان في شكٍّ من ذلك فليطالع نحو اللغة الانكليزية او الايطاليَّة او

الافرنسيّة مثلاً ويحكم بما يريد. ولقد جاءنا علماء الافرنج ودرسوا لغتنا فلما رأوا الصعوبة التي في قواعدها الفوا فيها كتباً اخرى قريبة المأخذ على اسلوب جديد لافادتنا بما جلدتهم

اما الشاهد الذي قدّمهُ وهو تفضيل درس اللغة الافرنسيّة بالقرامطيق الفرنساوي على درسها في كتاب عربي العبارة وتخاصهُ الى ان درس العربيّة في ابن مالك وابن عقيل اوفر فائدة من درسها في الكتب المستحدثة فشاهد غير مقنعٍ لاختلاف الاحوال والغاية في الاثنين وذلك من حيث الكتابة والتكلم في اللغتين وسهولة الافرنسيّة وصعوبة العربيّة ومقدرة الطالب على فهم قواعد تلك. قبل هذه ولاختلاف كيفيّة الدرس في الكتب الافرنسيّة التي يبدأ بها من تصريف الافعال. وفوق كل ذلك لعدم مقدرة الطالب على فهم القواعد الافرنسيّة في التراكيب العربيّة في كثير من الاحيان. وان طالب العربيّة سواء «كان بلغ الرشد» اولم يبلغهُ يرى في درس قواعد لغتنا من الصعوبة من حيث التقدم والتأخير ما يراهُ الصغير ولكي ازيد الامر وضوحاً آتي على بعض الامثال في ذلك. لنفرض ان طالبًا «بالغًا سن الرشد» لا يعرف شيئًا من قواعد اللغة اخذ في يدهِ كتابًا من كتب النحو وقرأ في اولهِ

«بالجرّ والتنوين والندا وال ومسندٍ للاسم تمييز حصل»

ثم قرأ في الشرح عليهِ ان الجرّ يشمل الجرّ بالحرف والاضافة والتبعيّة وهو لا يعرف ما هو الجرّ او الحرف او معنى الاضافة او التبعيّة. وان اقسام التنوين اربعة وان تنوين التمكين منها يلحق الاسماء المعربة وهو لا يعرف ما التنوين ولا معنى التمكين ولا الاسماء المعربة فكيف يتهيأ لهُ فهم البيت او فهم شرحهِ. وهو مع كل ذلك لا يزال يرى مثل هذه الامور في كل صفحة من صفحات كتابهِ الى ان يأتي على آخرهِ. ثم لنفرض ان في يدهِ كتابًا آخر وقد قرأ في اولهِ ان الاعراب تغيير اواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظًا او تقديرًا فيطيل وقوفهُ امام هذه العبارة لعلهُ يفهم معنى العامل فلا يجديهِ الوقوف نفعًا ويضطر الى التفتيش على معناهُ فيجد في محلٍّ آخر من كتابهِ ان العامل ما بهِ يتقوم المعنى المقتضي الاعراب. وهناك يأخذهُ العجب من التعريف لانهُ يستلزم الدور فقد أُدخل العامل فيهِ في تعريف الاعراب والاعراب في تعريف العامل فيعمد الى كتاب آخر فيرى ان العامل هو الطالب لاثرٍ مخصوص وهناك تحلّ عندهُ العقدة اذا فهم ذلك الاثر المخصوص فيرجع منهُ الى فهم العامل ومنهُ الى فهم الاعراب ثم يبتدئ بالبحث عن اللفظ والتقدير ليفهم معنى حدّ الاعراب. ومهما اجهد المعلّم قواهُ واسهب في التعبير

لا تزال الصعوبة في طريق التلميذ لارتباط المعاني ببعضها وعدم ترتيب الحقائق على طريقة يتدرّج فيها من الجزئي الى الكلّي

ومعاذ الله ان يكون قصدي مما ذكرت الانتقاد على ابن عقيل وابن الحاجب او غيرهما انما اقصد ان اري ان تلك الكتب لا تناسبنا في احوالنا الحاضرة لاختلافها عن احوالهم

ولا انكر « اننا اختبرنا الكتب القديمة والمؤلفة على شاكلتها مئة الف سنة فتقفت لعلمائنا اقلامًا تصيغ الدرر من حروف المباني » كما لا انكر انها اضاعت من اوقاتهم ما نبكي عليه نحن وسيبكي عليه ابناؤنا الى زمن لا يعلم مقداره الاّ الله . اما تطليقها بتاتًا فليس لغير جدوى ولا هو لغير علة بل بعد ان تفاقمت علينا اضرارها ورأينا فضل الحديثة عليها بالبرهان والعيان . ولست افضّل الحديثة عليها الاّ من حيث الاقتصاد في الوقت واما في غير ذلك فلا انعرّض لها بامر من الامور

هذا قليلٌ اتيت به من كثير ابتيه حتّى اذا اقتنع به حضرة الكاتب الكريم استغفرته على جرأتي والاّ سألته عرض ما عنده واستماع ما عندي الى ان يرى كلانا محجة الصواب

ويتصل الخطاب والسلام القاهرة احد القراء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي تدرج فيه كل ما يتم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والرياضة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ثيودورا حداد

بقلم ابنة اختها البدة ابنة صبيحة

يشقُّ على قلبي رثاءُ اخطُّهُ لها ودموعي اوشكت تذهب الحبرا

وتوشك ان تصلى الصحيفة في يدي فتُحرَقُ من تصعيد انفاسيَ الحرّى

وكأني بسامعة برزئنا العميم وخطبنا الجسيم تقول اوقفيني على سيرة فقيدتكم العزيزة فالتقط بعضًا من فضائلها واتمثل بها لاني اراكم تندبون الطهر والعفاف وتأسفون على